**/ ابن رشيق القيرواني (ت 454ﮬ).**

**أ - اللفظ والمعنى :**

اهتم بهذه القضية، وخصص لها بابا سماه "باب في اللفظ والمعنى"(2)، مشيرا إلى تباين آراء النقاد في أفضلية أحدهما على الآخر، قائلا: " فمنهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته، ووكده ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته"(3)، إلا إنه يروي لنا ما سمعه عن كثرة تفضيلهم لكفة اللفظ على المعنى، فيقول: "أكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى، سمعت بعض الحذاق يقول، قال العلماء: اللفظ أغلى ثمنا واعظم قيمة وأعز مطلبا ، فإن المعاني موجودة في طبائع الناس ، يستوي الجاهل فيها والحاذق ، ولكن العمل على جودة الألفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف"(4) .

ويذكر ابن رشيق أن الذين يؤثرون اللفظ هم فرق مختلفة باختلاف نظرتهم للفظ، وقد ذكر منها ثلاثا:

**أولا :**" قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع"(5)، ويمثلهم

بشاربن برد في قوله:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر : كتاب الصناعتين : 177.

(2) العمدة : 1/ 124.

(3) م . ن : 1/ 124- 125.

(4) م . ن : 1/ 127.

(5) م . ن : 1 / 125.

**إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما(1)**

يميل ابن رشيق إلى هذا النوع من الأ لفاظ، و يكشف عنه قوله: " هذا النوع أدل على القوة أو أشبه بما وقع فيه من موضوع الأفتخار وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت"(2).

**ثانيها**: وهي التي جعلت اللفظ غايتها وجعلته "جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر"(3).

**ثالثها:** هي التي اختارت سهولة اللفظ وقبلت منها الركاكة واللين المفرط"(4).

بيد أن ابن رشيق يركز- هنا- على الألفاظ، وهي إما على سنن العرب في كلامها، وإما لا طائل من ورا ئها من محاولة التشبه بكلام العرب، وإما أن تكون ركيكة. ويبدو إن الأفضل هم الطائفة الأولى التي سارت على سنن العرب في كلامها وكأنّه يميل هنا إلى الذوق القديم، ، فمال إلى تفضيل الطائفة الأولى ....

وخطابه هذا لم يخرج في ظاهر فهمه عن رؤية ابي هلال العسكري للألفاظ، إلا أن قوله : "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى، واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظا، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة السمع، وإن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى"(5)، يعالج من منظور نظري عام صلة العنصرين حيث تقوم هذه الصلة على التسليم بالتأثر المتبادل بينهما ضعفاً وقوّة (6).

وموقف ابن رشيق، وإن بدا فيه بعض التفاوت من جرّاء تنوّع زوايا الرؤية، يظل مشدوداً في خطابه إلى فكرة عدم الفصل بين المعاني، والألفاظ، واشتراكهما شرط أساسي في إطلاق صفة البلاغة على الكلام، وهذا ما يوضحه قوله: " لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معنـاه لـفـظـه، ولفظـه معنـاه، ولا يكـون لفـظـه أسبـق إلـى سـمعـك مـن معـنـاه إلـى قـلبـك " (7)،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ديوانه : 4/ 163.

(2) العمدة : 1/ 124.

(3) م . ن : 1/ 124.

(4) م . ن : 1/ 126.

(5) م . ن : 1/ 124.

(6) ينظر : م . ن : 124.

(7) م . ن : 1/ 245.

فالإئتلاف بينهما سبب لتكوين الوحدة الفنية في أي نموذج أدبي.وهو ما رأيناه، أيضا عند غيره من النقاد والبلاغيين.

ويبدو لنا أن هذا النوع أقرب إلى القصد والاعتدال منه إلى التمحل والتعقيد ، فالصورة عند ابن رشيق لا تكون واضحة الرؤية خصبة التخطيط إلا من خلال عنايتها باللفظ لتجعله الوسيط الدال على المعنى المراد لأكيد الصلة ووشيج النسب بينهما (1)، وهو إذن يسيرفي خطابه على نفس خطى العسكري في مزية اللفظ والمعنى، التي تصب في مجرى الربط بينهما داخل العمل الفني. لذا تبقى معالجة النص عنده محكومة بهذا الأصل .

**ب - الصناعة الأدبية :**

بنى أبن رشيق القيرواني نظريته في (بناء النص) على المعايير التي أسسها أبوهلال العسكري في صناعة الكلام، فالصنعة عنده نوعان :

**الأولى /**  تعتمد الطبع العفوي مع التنقيح والتهذيب (2).

**الأخرى /** تعتمد القصد والتكلف، و(التكلف) عنده الإكثار في طلب الصنعة والتعمل لها(3) .

أدرك ابن رشيق وجود منابع، ومصادر تسهم في جعل الأديب مبدعا، ويتجلى هذا في حديثه عن آداب الشاعر، وعمل الشعر، وشحذ القريحة له متحدثا عن بعض العوامل المهمة التي تسهم في جعل الأديب قادرا على الإبداع الشعري، ويمكن تسميتها ﺑ (أسس الإبداع)، يقول: "والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسمكه الروايه، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون، وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواخي والأوتاد للأخبية، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر، فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستغنى عنها "(4) .

ينم تشبيه بنية البيت الشعري بالبناء عن فهم لشكل من أشكال تلاحم عناصره يجعل كماله غير متأت بغياب إحداها، إلا ما قد يعكّر ذلك من تشبيهه المعنى بالساكن إذ له أن يغيب، فيبقى البناء قائماً. غير أنه قد يفهم أن القصد من هذا التشبيه تأكيد ضرورة قيام البيت على معنى يؤديه،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بلاغة أرسطوا بين العرب واليونان : 151- 152.

(2) العمدة : 1/ 129.

(3) م . ن : 1/ 130 – 131.

(4) م . ن : 1/ 121.

بل تستحيل علاقات العناصر إلى كيان متلاحم يكون المعنى في إطارها شبه تابع حتمي للخواص

اللفظية، لذا نراه يقر بأن :" الصانع إذا صنع شعراً في وزن ما وقافية ما، وكان لمن قبله من الشعراء شعر في ذلك الوزن وذلك الروي، وأراد المتأخر معنى بعينه، فأخذ في نظمه أن الوزن يحضره والقافية تضطره، وسياق اللفظ يحدوه حتى يورد نفس الكلام الأول ومعناه حتى كأنه سمعه وقصد سياقته، وإن لم يكن سمعه قط"(1)، فالمعنى يتولد له من أشكال صياغته - وهذه الإشارة سبقه اليها العسكري في صناعتيه - ، وكأن سياق الألفاظ في بنيتها التركيبية الملحمة بالبناء الصوتي تملي على الشاعر سلطة بنيتها المستقلة، فتفرز دلالتها أيضاً، ولا يملك الشاعر سوى الإختيار المبدئي لمقصد القول الذي ستوّجهه عناصر البنية المتعاضدة إلى نهايته.

وبذلك يتفق ابن رشيق مع أبي هلال بأعتماده على معطياته في (صناعة النص الأدبي)، والدعائم التي ثبتها لبناء النص الشعري، كان قد أسس لها العسكري من قبل، فقد أدرك أن العملية الإبداعية نشاط إنساني واعي، ولأن العمل الواعي في الشعر هو الذي يضفي على النص صفة الجمال الفني، ما لم يصل ذلك الوعي إلى درجة التصنع، والتكلف الذي يؤثر سلبا على جمال الشعر، وعلى مدى تقبله لدى المتلقين. ويفصل في توضيحه للدعائم التي أعتمدها في تأسيس النص الشعري، والتي تعد أساس كل صناعة شعرية وهي :

**الطبع:** وعده الأساس الذي يبنى عليه العناصر الأخرى، يتضح هذا من حديثه عن الشعر المطبوع، والمصنوع، إذ يرى أن الشعر المطبوع هو الأصل الذي وضع أولا وعليه المدار(2)، والطبع بهذا يكون (الأصل) في كل نص أدبي (نثري أو شعري)، الذي تتخلق فيه المعاني المنشودة، فضلا عن أن إنضاج هذه المعاني وصوغها بالألفاظ والصور، إنما هومن عمل القوى العقلية، فالشاعر يحتاج إلى توظيف هذه الطاقة في تنقيح النص، وتثقيفه، وتصفيته، عقب الفراغ منه، " ولا يكون الشاعر حاذقا مجودا حتى يتفقد شعره، ويعيد فيه نظره، فيسقط رديه ويثبت جيده، ويكون سمحا بالركيك منه، مطرحا له راغبا عنه فإن بيتا جيدا يقاوم ألفي رديء "(3). ويتضح من قوله إشراك ) **العقل**( في العملية الإبداعية، فهو لا يكتب كل ما تمليه عليه قريحته بل يستعمل عقله في الإهتداء إلى عنـاصر النص الجيدة، وتحقـيق التأليـف بينهـا وتنسيقهـا، وتحقـيق التـلاؤم بين بعضهـا بعضا؛ ليكون عمله الإبداعي خاليا من الإضطراب، وسوء التأليف.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) قراضة الذهب في نقد أشعار العرب : 86.

(2) ينظر: العمدة : 1/ 129.

(3) م . ن : 1/ 200.

ويقر ابن رشيق بأهمية الطبع في العملية الإبداعية، و يرى ضرورة تقويمه؛ لأن الشاعر "إذا كان مطبوعا لا علم له، ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه، وهو ماثل بين يديه لضعف آليته، كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة"(1). ويحدد الأسس التي يراها تقوم (الطبع) وتهذبه، والعسكري قبله قد اشترطها في صناعتيه، وألح على ضرورة توافرها في (الطبع) على النحو الآتي:

* **الرواية :** وهي تمد الشاعر بمختلف المعارف والثقافات اللازمة له في صناعته، وتعد من أوثق الآته ، فهي مرحلة مهمة في حياته، حيث يتم من خلالها شحذ طبعه، وتهذيبه، وتوجيهه، فقد كان الفرزدق – على فضله في هذه الصناعة – يروي للحطيئة كثيرا، وأيضا الحطيئة كان يروي لزهير، وكان زهير راوية لأوس بن حجر (2) .
* **الدربة والمران والتمرس :** تتيح للشاعر الوقوع على المعنى الشعري إذ لابد من العلم والثقافة، فالشاعر عنده مطالب بكل علم من نحو، وفقه، وحساب، وخبر، وفريضة، ومعرفة النسب، وأيام العرب، وحكمها، وأمثالها(3)، أي الإلمام بالمعارف على اختلاف أنواعها. والعسكري من النقاد الذين تنبهوا إلى ضرورة تثقيف الأديب؛ لتكوين مبدع حاذق بأصول الصنعة القولية، ولأكتساب ملكة لغوية متينة وحصينة لا تتأتى إلا من خلال تنوع القراءة، وإكتساب الخبرات الجمالية، وذلك بمعرفة كل ما يتعلق باللغة العربية وصولا الى الإطلاع على مختلف المعارف(4)؛ ليكون ذا ثقافة موسوعية شاملة متعددة المنابع والمصادر، الأمرالذي يؤدي الى توسيع أفقه المعرفي، ويجعله على بينة مما يبتغيه من الكتابة .
* **إختيار ما يناسب المعنى الشعري من وزن وقافية وألفاظ وصو**ر: ليكتمل بناء النص الشعري(5)، وهـذا يعنـي الملائمـة والمشاكلـة، بتدخل الذهن في إعداد الألفاظ التي تطابق

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) العمدة : 1/ 197.

(2) ينظر : م . ن : 1/ 98، وكتاب الصناعتين : 127، 128.

(3) ينظر : م . ن : 1/ 196-197، و م . ن : 127.

(4) ينظر : كتاب الصناعتين : 140.

(5) ينظر : العمدة : 1/ 210، وكتاب الصناعتين : 128.

المعنى، وفي توظيف القوافي التي تتوافق معه، وفي إختيار الوزن الذي يوضح المعنى ويكشف عنه .

* **إضافة المحاسن اللفظية والمعنوية بعد اكتمال بناء النص:** والغرض منها إضفاء المزيد من الحسن على الصياغة، وهذه الزينة ضرورية كباقي العناصر؛ لو لم تكن كذلك لأستغنى عنها الشاعر .

وتأخذ قضية المقام والحال مكانة هامة في قضية الإبداع الشعري عند ابن رشيق، فيرى ضرورة مراعاة حال ومقام المخاطبين الذين يوجه اليهم العمل الشعري، يقول: " لكل مقام مقال، وشعر شاعر لنفسه وفي مراده أمور ذاته – من مزح، وغزل، ومكاتبة، ومجون، وخمرية، وما أشبه ذلك – غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين ... وشعره لأمير، والقصائد غير شعره للوزير والكاتب، وخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع"(1).وهذه القضية استمالت قلم العسكري، فيكتب عنها ما يغطيها من كل جوانبها(2)، وعليه فإن العسكري له السبق في إرشاد المبدع إلى الطريق السليم في صنعته الأدبية، إذ أرتسم له كل الدعائم التي تعينه في عمله الإبداعي، وجل من جاؤوا بعده و- ابن رشيق واحد منهم - لم ينعطفوا بعيدا عن مساره.

**ج - قضية السرقات :**

أجده ينقل تقسيمات العسكري في السرقات، بقوله:"ومن أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقا ،فإن غير بعض اللفظ كان سالخا ، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه "(3).

وعلى الرغم من إختلاف ابن رشيق في طريقة عرضه للقضية فإنه يتفق في الخطوط العامة مع أبي هلال، وأبرزها أن " المتبع إذا تناول معنى فأجاده – بأن يختصره إن كان طويلا، أو يبسطه إن كان كزا، أو يبينه إن كان غامضا، أو يختار له حسن الكلام إن كـان سفسافا، أو رشيـق

الوزن إن كان جافيا - فهو أولى به من مبتدعه "(4)، فالإجادة تكون بحجم الإضافة والتغييرالحسن الـذي يضفـيه الشـاعرعـلى نصـه، وبـذلك يجيز أخـذ المتبع عـن المبتدع إذا استطاع أن يبرزه في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) العمدة : 1/ 199.

(2) ينظر : كتاب الصناعتين : 31، 33 ، 36 ، 140.

(3)العمدة : 2/ 281.

(4) م . ن : 2/ 290.

معرض من تأليفه، وإيراده في حلة مغايرة لحلته القديمة، فهو أولى بملكيته من صاحبه؛ لأنهما يتفقان بأن المعاني المشتركة المشاعة بين الناس لا فضل لأحد فيها على من سواه،إذ لا سرق "في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره "(1)، إلا إذ أزاد عليه " زيادة بارعة مستحسنة، يستوجبه بها، ويستحقه على مبتدعه ومخترعه "(2) .

لم يقف توافق ابن رشيق مع أبي هلال على (الزيادة المستحسنة ) في المعنى المطروق، إذ أجده يؤكد ما طرحه بالتنبيه إلى عدم الإنتقاص من المعنى؛ بسبب تهجين اللفظ وبرودة الصورة الإستعارية " وسئل الأعشى عن معنى قوله في الخمر :

**ومــدامة ممــا تعتــق بابــل كدم الذبيـح سلبتهـــا جريالهـــا**

فقال : شربتها حمراء، وبلتها بيضاء. فتناول ابن المعتز هذا المعنى ، وليته لم يفعل، فقال:

**ولا يزال وكأس الشرب دائرة يبول هما ويحســو اللهــو والطــربا**

جاء هجين اللفظ بارد الأستعارة، لا سيما قد وقع الحسو بعد البول "(3)، وهذا الطرح يؤكد فيه ابن رشيق على (حسن الصياغة وسلامتها )في الأخذ والإفادة من الشعراء السابقين؛ وذلك بإجتنابهم استخدام ألفاظ، وعبارات ركيكة، ومعيبة يطمس من جمالية النص، فابن المعتز صرح بلفظة (البول) على حين الأعشى لم يصرح بهكذا لفظ، وإنما سلب لون الخمر بأن أبرزها بيضاء، وكذلك أخطأ ابن المعتز في ترتيب المعاني أيضا إذ جعل (حسو اللهو)، بعد (البول) لا قبله، وهذا كله جعل ابن رشيق يحكم في موازنته بين المبدع (الأعشى) والمتبع (ابن المعتز) بأن عمله هجين اللفظ بارد الإستعارة؛ لكون إستعارته (اللهو للخمرة) باردة وضعيفة.

وبهذا استطاع ابن رشيق أن يعبرعن فكرته في إظهار أهمية (حسن الصياغة )، وصب المعنى في قالب جديد يظهر فيه حضور المبدع، وقدرته على إجتلاب المعنى والتصرف فيه بطريقة تحكم له بالإبداع، وبهذا يسيرعلى نفس الخطى التي سار عليها العسكري في التعبير عن فكرته (أهمية الصياغة) وهي (الموازنة) بين شاعر مخترع وآخر متبع؛ لكنه استخدم الحيلة الذهنية، فقد اتفقا في إختيار بيت الأعشى كإنموذج للقياس الأمثل، إلا أنه أختلف عنه بعرضه لشاعر متبع لم يستطع أن يظهر إبداعـه فـي الإفـادة من آخر مخترع، فبـان سوء عمله (في اللفظ، والمعنى، والإستعــارة)، ومثلـه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) العمدة : 2/ 281.

(2) قراضة الذهب في نقد أشعار العرب : 19.

(3) م . ن : 98.

ببيت ابن المعتز . أما أبو هلال فقد عكس لنا صورة المتبع الذي إستطاع بذكائه، وفطنته أن يخفي دبيبه الى المعنى، غاية الإخفاء، متصرفا فيه تصرفا فنيا، بإستخدامه حيلة إسلوبية، إذ لم ينقله نقلا حرفيا(1). نستطيع من هذه الصورة أن نتمثل نظرات ابن رشيق، وميوله الى القديم؛ لكونه أساس الإبداع الذي يعجز المحدث عن إتباعه أو السير على خطاه أما العسكري، فلا ينكر قدرة المحدثين العقلية، والإسلوبية في التعبير عن المعنى المأخوذ .

ولم يعارض ابن رشيق أبا هلال في إحساسه بأزمة الشاعر المحدث، عندما حاول أن يساعده على تجاوز أزمته بتلقينه أسرار الصناعة، يقول : " وأحد أسباب إخفاء السرق، أن يأخذ معنى من نظم، فيورده في نثر. أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر، فيجعله في مديح . أو في مديح فينقله الى وصف ؛ إلا أنه لا يكمل لهذا إلا المبرز ، والكامل المقدم "(2)، والغاية إذن من نظم النثر وحل الشعر هو إخفاء السرقة. ومتى أجاد الشاعر في ذلك، فقد أحسن وإنفرد بشهرة المعاني التي أخذها، ولعل هذا هو السبب الذي جعل ابن رشيق يعد " نظم النثر وحل الشعر" من أجل السرقات المغتفرة . وبخاصة إذا زاد فيها الشاعر فحسنه.

**د - الإيجاز والإطناب والمساواة :**

استند ابن رشيق على جهود سابقيه في عرضه(للإيجاز،والإطناب، والمساواة)؛ لما لها من أهمية في العملية الإبداعية، إذ نجده يرتع من المصدر نفسه الذي اعتمده العسكري في تأسيس فكرته، فينقل رأي الرماني في الإيجاز:"هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف "(3)، لذلك نجدهما يتفقان بأن الإيجاز : إندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل. ويقسمه - وفقا لتقسيمات الرماني – على ضربين :

**الأول/** ماطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه.

**الآخر/** يسمونه (الإكتفاء ): وفيه يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب، ويعلق ابن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) وممن أخفى دبيبه إلى المعنى وستره غاية الستر أبو نواس في قوله:

**أعطتك ريحانها العقار وحــان مــن ليـلك الأسفـار**

إن كان قد أخذه من قول الأعشى ، على ما حكوا ، فقد أخفاه غاية الإخفاء ؛ وقول الأعشى :

**وسبيئة مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها .** ينظر : كتاب الصناعتين : 179.

(2) كتاب الصناعتين : 178**.**

(3) العمدة : 1/250.

رشيق على هذا الضرب بقوله : " إنما كان هذا معدودا من أنواع البلاغة لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب ، وكل ممعلوم فهو هين ؛ لكونه محصورا "(1).

أما إيجاز الحذف فهو عنده ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه.(2)

ويعلي ابن رشيق مع أبي هلال من شأن الإيجاز حتى أقاما البلاغة كلها عليه. ويدعم رأيه بما أجمع عليه الحكماء في قولهم ، وأراه يتبع نهج العسكري في عرضه الأقوال المأثورة عن سابقيه حول (منزلة الإيجاز)، ويستشهد بحديث للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين فيه منزلة (الإيجاز): " تكلم رجل عند النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقال له النبي( صلى الله عليه وسلم): **((كم دون لسانك من حجاب ؟)) فقال: شفتاي، وأسناني، فقال له : (( إن الله يكره الإنبعاق في الكلام، فنضّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته))**(3)، وينقل سؤال معاوية لعمرو بن العاص" من أبلغ الناس ؟ فقال : من اقتصر على الإيجاز، وتنكب الفضول "(4) .

ويقول : " سئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟

فقال : قليل يفهم ، وكثير لا يسأم.

وقال آخر : البلاغة إجاعة اللفظ واشباع المعنى .

وقال : معان كثيرة ، في ألفاظ قليلة .

وقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز "(5)

وهذا التلازم بين (الإيجاز) وبين مفهوم (البلاغة) ينبئ عن فضيلة الإيجاز وتعلق العرب به، وهو ما يؤيده العسكري أيضا(6). أما ما أضافه ابن رشيق إلى مفهوم البلاغة "هو وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز، مع حسن العبارة"(7)، والقدرة على اللعب بالألفاظ، وتراكيبها بما يلائـم مقتضى الحـال، وهـو مـا دل عليه العسكري سلفا " فإن الإيجاز والإطناب يحتاج اليهما في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) العمدة : 1/ 250.

(2) ينظر : م . ن : 1/ 253.

(3) م . ن : 1/ 241.

(4) م . ن : 1/ 243.

(5) م . ن : 1/ 242.

(6) ينظر : كتاب الصناعتين : 173.

(7) العمدة : 1/ 250.

جميع الكلام وكل نوع منه ؛ ولكل واحد منهما موضع ..."(1)، وبذلك يكون استخدام هذه الأساليب مرهون بحالة (المخاطب) النفسية، وما تقتضيه من إيجاز أو إطناب أو مساواة. إلا أنه يكتفي فقط بذكر تقسيم (الرماني) للإيجاز مستدلا بنفس الشواهد التي ضمنها العسكري صناعتيه.

إلا أنني أجده يشير إلى جهود العسكري في (الإيجاز )، وتقسيماته- بخفاء في كلامه- عن هذا الباب بقوله : " إن هذا الباب متسع جدا، ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصنعة "(2) .

أما المساواة، فلا يختلف في مفهومها مع العسكري، ومن خلال تعليقه على أبيات أستدللنا من خلالها على مفهوم (المساواة) عند ابن رشيق " فقول الشاعر :

**يا أيــها المتحلـى غير شيمته إن التخلق يأتي دونه الخلـق**

**ولا يواتيك فيما ناب من حدث إلا أخوثقة ، فانظر بمن تثق**

فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه، ولا معناه على لفظه شيئا "(3) .

إن ما أسسه النقاد السابقون و- العسكري- منهم عن (الإيجاز، والإطناب، والمساواة) كان بمثابة المفاتيح التي تسلمها النقاد من بعدهم؛ لذا نرى ابن رشيق لا يخرج عن السلف في فهمه لهذه الأساليب، فليس له فيها إلا حسن العرض، والوقوف عند بعضها بالإيضاح والتعليق .

**ﮬ - التشبيه، والإستعارة، والكناية :**

لم يختلف ابن رشيق في حده للتشبيه عن العسكري، وإن تغير لفظه إلا أنه اتفق معه في المعنى، بقوله:" التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"(4)، ويوضح قوله بعرضه شواهد الغاية منها- بحسب ظننا- توصيل الفكرة بصورة أقرب وأسرع للقارئ، فيكون أشبه بمثال تعليمي توضيحي، يقول: " إلا ترى أن قولهم (خد كالورد ) إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسط وخضرة كمائمه، وكذلك قولهم (فلان كالبحر، وكالليث) إنما يريدون كالبحر سماحة وعلما، وكالليث شجاعة وقرما، وليس يريدون ملوحة البحر، وزعوقته ... "(5) .

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) كتاب الصناعتين : 171.

(2) العمدة : 1/ 250.

(3) م . ن : 1/ 250.

(4) م . ن : 1/ 286.

(5) م . ن : 1/ 286.

وهو في قوله هذا يتبع رأي العسكري بأن الشيئين إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا، فصار الإثنان واحدا (1). ويتضح لنا من خلال هذه الأمثلة ما يلي:

1. اختلاف ابن رشيق عن العسكري في تركيزه على (الحقيقة) التي جعلها شرطا في التشبيه(2). أما العسكري لم يهتم بها اهتمام كبير؛ إذ لا يعد لها أثر في تلوين المعنى، ويدعم كل من أبي هلال، وابن رشيق رأييهما بما نقلوه من روايات عن الماضي تثبت صواب قولهم(\*) .
2. مدى اهتمامها بالمخاطب وبحضوره في العملية التعليمية، نجد العسكري يخاطبه مثلا بقوله: " مثل قولك "(3)، و ابن رشيق في قوله: " ألا ترى أن قولهم"(4).

ينقل ابن رشيق رأي الرماني في تقسيمه التشبيه مصرحا بقوله : " التشبيه على ضربين والأصل واحد فأحدهما التقدير، والآخر التحقيق؛ فالذي يأتي على التقدير التشبيه من وجهة واحدة دون وجهة، والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الإطلاق، وهو التشبيه بالنفس، مثل تشبيه الغراب بالغراب، وحجر الذهب بحجر الذهب إذا كان مثله سواء" (5). صحيح أن العسكري اغترف من نفس الوعاء الذي اغترف منه ابن رشيق؛ لكن العسكري يصب ما اغترفه في وعاء خاص به، أستطاع أن ينفرد به دون سواه. ونجد ابن رشيق يعرض قول الرماني الذي صرح به العسكري ولا نعلم سبب هذا النقل النصي من دون أدنى تصرف فيه؟! .

ربما أراد أن يكشف جذور هذه الجهود، ويعرف بالمؤسس لها، فلا يحتسب فضلا لمن تعرض لها من بعده ؟ هذه أمانة علمية يحمد عليها ابن رشيق ألا أنه في نفس الوقت لا يـذم فيهـا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر : كتاب الصناعتين : 213.

(2) ينظر : العمدة : 1/ 287.

(\*)- نقل أبو هلال حكاية :" روي أن إنسانا قال لبعض الشعراء : زعمت أنك لا تكذب في شعرك ، وقد قلت:

**ولأنت أجرأ من أسامة**

أو يجوز أن يكون رجل أشجع من أسد ! فقال: قد يكون ذلك ؛ فإنا قد رأينا مجزأة بن ثور فتح مدينة، ولم نرالأسد فعل ذلك . ينظر :كتاب الصناعتين : 213. وما نقله ابن رشيق من رواية للأصمعي عندما سئل عن الحّور ، فقال : " أن تكون العين سوداء كلها كعيون الظباء والبقر ، ولا حور في الإنسان ... يدلك على أن التشبيه إنما هو بالمقاربة كما قلنا " . العمدة : 1/ 286-287.

(3) كتاب الصناعتين : 213.

(4) العمدة : 1/ 286.

(5) م . ن : 1/ 286.

العسكري، فعدم تصريحه بذلك لا يقلل من مكانته العلمية (النقدية والبلاغية)؛ لأن العسكري كما ذكرت تصرف في نقله فأضاف، وقدم، وأخر، وقسم وفق اسلوب منفرد يحسب له بالفضل والتميز(1).

ويتفق ابن رشيق مع العسكري في عد سبيل التشبيه الأساس هو (التوضيح والإبانة) وهو وظيفتها الأولى، بل لعل ذلك هو أبرز مطلب في الكلام البليغ بصفة عامة؛ كي تؤثر في السامع أقوى تأثير، لذا نراه يقول: " وسبيل التشبيه – إذ كانت فائدته إنما هي تقريب المشبه من فهم السامع ، وإيضاحه له "(2)؛ وهي قاعدة أقرها القدامى من قبل، و جعلوها الأصل في التشبيه، والعسكري - منهم - أقر بأنه " يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا "(3) ، وكلاهما يتفقان في إقرار وظائف التوضيح من خلال " تشبيه الأدون بالأعلى إذا أردت مدحه "(4). أما إذا تغيرت النقلة من الأعلى الى الأدنى، فعندها تختل معادلة التوضيح عند العسكري، ليصبح التشبيه خاليا من الفائدة (مستقبحا)، ويؤيد ذلك بقوله : "والتشبيه يقبح إذا كان على خلاف ما وصفناه من إخراج ... الكبير الى الصغير"(5)، أما ابن رشيق فلا يعده مستقبحا وإنما عده نوعا من الذم بقوله: " وتشبيه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمه" (6).

لذا أجده يؤيد العسكري بعدم وقوفه في الإدلال على براعة الشاعر في التشبيه عند حد إجادته فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى الإتيان بأكثر من تشبيه في بيت واحد، منه.

1- "تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد"(7)، وينقل قول امرئ القيس - مهتديا فيه نهج العسكري- في عقده موازنة تعتمد الذوق الأدبي الرفيع حين يشبه شيئين في بيته:

**كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي (8)**

ومن اتبعه، إذ يقول : " واتبعه الشعراء في ذلك "(9) ، فيختار قول بشار بن برد في قوله:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر : كتاب الصناعتين : 213، 214.

(2) العمدة : 1/ 290.

(3) كتاب الصناعتين : 216.

(4) العمدة : 1/ 290.

(5) كتاب الصناعتين : 215.

(6) العمدة : 1/ 290.

(7) م . ن : 1/ 292.

(8) ديوانه : 64.

(9) العمدة : 1/ 290.

**كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (1)**

ليقول بأن " كان مراده الترتيب فصدق، ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كبيته وإن كان المراد تشبيهين في بيت " (2).

2- "تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد "(3).إلا أن العسكري عده من بديع التشبيه(4) .

3- " تشبيه أربعة بأربعة "(5)، ينقل ابن رشيق شاهد العسكري إلا أنه يختلف عنه بإكتفائه بالإشارة اليه من دون تفصيل أو حكم يعبر عن ذوق صاحبه في البيت فنجد في :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ديوانه : 1/ 335.

(2) العمدة : 1/ 291.

(3) م . ن : 1/ 292.

(4) ينظر : الصناعتين : 223.

(5) العمدة : 1/ 293.

|  |  |
| --- | --- |
| تشبيه العسكري | تشبيه ابن رشيق |
| **1-حدد في التشبيه نوع آخر بغير (أداةالتشبيه) ومّثل له بقول امرئ القيس:**  **له أيطلا ظبي، وساقا نعامة**  **وإرخاء سرحان، وتقريب تتفل.**  **ليؤكد بأن صورة البيت مؤسسةعلى التشبيه (1).**    **2- بين مواضع التشبيه ودل عليها بقوله:" لأن الفرس لا يكون له أيطلا ظبي ولا ساقا نعامة ولا غيره مما ذكره، وإنما المعنى له أيطلان كأيطلي ظبي وساقان كساقي نعامة " (3).**  **3- أطلاق حكم ناتج عن ذوق أدبي بأن " هذا البيت من بديع التشبيه" (5) .** | **1-لم يحدد نوع التشبيه ، فقد جعله مبهما . يقول: "ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة بالكاف أيضا، وبغير الكاف"(2)**    **2-اكتفى بقوله : " فجاء بتشبيه إضافة وإذا لم يحمل عليه فسد الكلام كما ترى حتى جعله تحقيقا لولا مفهوم الخطاب"(4)**  **3-لا يطلق فيه حكما .** |

لكن في عقدنا لهذه الموازنه البسيطة لتعليق العسكري، وابن رشيق وإن (لم يطلق فيها ابن رشيق حكمه ) كما فعل العسكري، لا نلمس فيه ذوقه الأدبي؛ لأننا نجد أحكامه متناثرة بين ثنايا موضوعاته؛ لكن العلة أخلاقية - حسب ظننا- تعود الى إحترام ابن رشيق لأحكام القدامى أمثال العسكري وغـيره ممن أصدروا حكما أدبيا على الشاهد نفسه، ودليل قولنا إن ابن رشيق يصدر حكمه على شواهد مماثلة لها في الموضوع نفسه، فنجده يحكم على بيت للأبي نواس :

**يبكي فيذري الدمع من نرجس ويلطـــــم الـــورد بعنـــاب**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر : كتاب الصناعتين : 222.

(2) العمدة : 1/ 293.

(3) كتاب الصناعتين : 222.

(4)العمدة : 1/ 293.

(5) كتاب الصناعتين : 222.

بأنه مليح جدا (1 )، وكذلك تعليقه ايضا على بيت للطرماح فيه تشبيه شيئين بشيئين بأنه في نهاية الجودة(2).

4- " تشبيه خمسة أشياء بخمسة"(3)، مستشهدا بالشاهد نفسه الذي تمثله العسكري في صناعتيه إلا أنه لم يفصل ما فصله العسكري من توضيح(4)، مكتفيا بإشارة إلى أن البيت أتى بغير آلة التشبيه(5) .

ونجد في تكراره للجمل مثل: (أتى التشبيه بغير كاف، ولا شيء من أخواتها، وجاء بالتشبيه على اسقاط الكاف، واتى به بغير آلة التشبيه)(6)، هو تنبيه الى (التشبيه البليغ )، وإن لم يسمه بهذا الأسم، وهو في ذلك يهتدي بفعل العسكري ؛ لملاحظته حذف أداة التشبيه إذ يقول :" وقد يكون التشبيه بغيرأداة التشبيه "(7) .

جار ابن رشيق أباهلال العسكري في عده الإستعارة " أول أبواب البديع"(8)، و أفضل أنواع المجاز، وأعجب حلى الشعر، ومحاسن الكلام، شريطة أن تقع موقعها، وتنزل موضعها(9)، ﻓ (الإحسان والإساءة) هما المعياران الجماليان اللذان يميز بهما ابن رشيق استعاراته، وهذه الأوصاف - في رأي العسكري- موجودة في الإستعارة (المصيبة)(10)؛ لأنها إذا لم تصب الغرض والموقع ، فإنها تدخل الكلام في باب التعقيد والتكلف.

وينقل ابن رشيق الخلط الذي كان بين( الإستعارة والتشبيه)، فمنهم من يجعل الإستعارات تشبيهات، وبالعكس منهم من يطلق على بعض التشبيهات لقب(استعارة). والعسكري - كما ورد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر : العمدة : 1/ 293.

(2) ينظر : م . ن : 1/ 293.

(3) م . ن : 1/ 294.

(4) ينظر : كتاب الصناعتين : 223.

(5) ينظر : العمدة : 1/ 294.

(6) ينظر : م . ن : 1/ 292، 293، 294.

(7) كتاب الصناعتين : 222.

(8) العمدة : 1/ 268.

(9) ينظر : م . ن : 1/ 268.

(10) ينظر : كتاب الصناعتين : 240 .

ذكره- واحد من العلماء الذين خلطوا بينهما- حسب قول ابن الأثير- إلا أنه فك عقدة الخلط بعدها نوعا من (الإستعارات القريبة)، يقول:" والناس مختلفون فيها ... منهم من يخرجها مخرج التشبيه ... وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع بيت ذي الرمة(\*) ناقص الإستعارة؛ إذ كان محمولا على التشبيه ... وهذا عندي خطأ" (1)؛ ويعرض لما هو أصح وأقرب،هو إدراجها ضمن حقل (الإستعارات القريبة)،ويدعم كلامه بحجة تسند رأيه بقوله: " وعلى ذلك مضى جلة العلماء، وبه أتت النصوص عنهم ، وإذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء"(2)، وهو بهذا ينهج في رأيه نهجا وسطا ، ويذهب عدلا بين مذهبين في تفضيل الإستعارة على اساس قربها أو بعدها، إلا إنه ينبه في استعمالها المبني على الإنتقال بين الدلالات، فيقول: " لا يجب للشاعر أن يبعد الإستعارة جدا حتى ينافر، ولا أن يقربها كثيرا حتى يخفق، ولكن خير الأمور أوساطها "(3)،لما له من أثر في تحريك قريحة الشاعر فيدفعه إلى (الإخفاق أو الإصابة). وابن رشيق في هذا يتبع العسكري في سيره على نهج العرب وموافقته لعمودهم المنقوش عليه (مناسبة المستعار للمستعار له ).

أما في حده (للإستعارة )، فيكتفي بنقل آراء العلماء فيها، فيذكر رآي (القاضي الجرجاني، وأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع، وأبي الفتح عثمان بن جني، وأبي الحسن الرماني).من غير أن يؤسس لنفسه حدا ينفرد به ويتميز به عن جل هؤلاء العلماء يكون خلاصة لإفكارهم، وهنا يكون جوهر الإختلاف بينه وبين العسكري، الذي اطلع ايضا على جل أفكار هؤلاء العلماء من قبل إلا أنه خرج بحد يميزه عن غيره، وكان فيه أوضح وأبين منهم؛ لأنه أبرز الأغراض التي من أجلها جاز هذا النقل - وقد بينا لها في الفصل الأول- واحتسب له حق التميز .

بحث ابن رشيق الكناية تحت باب الإشارة (4) الذي طوى تحت جناحه (الوحي، والإيماء، والتفخيـم، والتعريـض، والتلويـح، والكنايـة، والتمـثيـل، والـرمـز، واللـغز، واللـحن، والتـوريـة،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(\*)  **أقامت به حتى ذوى العود والتوى وساق الثريا في ملاءته الفجر**

" فاستعارة للفجر ملاءة ، وأخرج لفظه مخرج التشبيه ... ". العمدة :1/ 269.

(1) م . ن : 1/269.

(2) م . ن : 1/ 269.

(3) م . ن : 1/ 271.

(4) ينظر : العمدة : 1/ 305.

والتتبع)(1) . إلا أنه ربط بين الكناية والتمثيل فجعلهما شيئا واحدا(2)، واتفق مع العسكري في جعل التعريض قسيما للكناية(3)، إلا أنه اختلف عنه في عدم تخصيصه بباب مستقل مثلما فعل مع التشبيه والإستعارة، وإنما أدرجها في باب الإشارة، و كذلك لم يخصها ايضا بتعريف مستقل مكتفيا بتلميحات واشارات قائمة على ستر المعنى واخفائه.

**و- البديع :**

هو أحد الدعائم الثلاثة التي تستند عليها البلاغة العربية (البيان، والمعاني، والبديع)، ويبحث قضية (الإبتكار) في العمل الفني، التي هو مرمى البلاغة الأساسي؛ ولأن البلاغة كما يعرفها العسكري: " كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة، ومعرض حسن "(4)، فالغرض الأول من التبليغ هو الإقناع والتأثير، وهذا لا يتوصل اليه إلا من خلال الإبتداع أي: بالكيفية التي يستطيع من خلالها الأديب إحراز تميزا في عرضه الأدبي، وتفردا يحتسب له بإبتكار لصورة تعبيرة، لها بعدها النفسي الكبير في السامع، وعلى هذا المنوال سار النقاد من بعد العسكري في ( البديع)، إذ نبهوا على ما للبديع من دور بارز في الكلام شعره، ونثره ، فتناولوه بالدراسة والبيان، وكان لكل منهم بصمة انفرد بها في محاولته لإستواء هذا الفن على سوقه .

وسأقف عند أهم الفنون التي زادوها النقاد على الفنون التي أوردها العسكري أو إختلفوا فيها معه بالبحث والبيان، ولم يختلف ابن رشيق عن أبي هلال العسكري في مفهومه للبديع والذي يعني فيه " الجديد "(5)، والمبتكرالمستظرف في التعبير الأدبي، وهذا المفهوم وما حمله من السعة، لم يختص بظاهرة بلاغية معينة، وإنما استوعب جميع الظواهر البلاغية التي تسهم في جمالية النص، وكل ما يثيرالإعجاب من إبداع في الصياغة الفنية، وهذا الآمر يشترك ابن رشيق مع العسكري في الإتفاق عليه، إذ جعلا (البديع) مصطلح لام تحت عبائته كل الظواهر البلاغية المعروفة انذاك بما في ذلك (المجاز، والإستعارة، والكناية) .

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر : العمدة : 1/ 304، 305 ، 306 ، 307، 308، 310 ، 311.

(2) ينظر : م . ن : 1/ 305.

(3) ينظر : م . ن : 1/ 305.

(4) كتاب الصناعتين : 16 .

(5)العمدة : 1/ 256.

ولعل ما فعله ابن رشيق في أحد أبواب (عمدته) من تفريق بين (المخترع) و(البديع)(1) - وإن كان معناهما في اللغة العربية واحد- وعاء يصب أفكاره المتعلقة بالبديع، ومنها :

* عد تفريقه لأوجه: ( الإختراع) و( التوليد) و( الإبداع) مدخلا يبسط من خلاله لفكرته عن البديع، وقد حد :

**(الإختراع)** ﺑ : خلق المعاني التي لم يسبق اليها، وخصه ﺑ (المعنى).

**(التوليد)** : أن يستخرج الشاعر معنى من معاني شاعر تقدمه، أو يزيد فيه زيادة ويسمي ذلك توليدا؛ لأن الشاعر يكون فيه مقتديا بغيره (2)، وبذلك يجعل التوليد فرعا من أصل الإختراع، وعليه فهو يدخل في باب (الإختراع) كل وجوه البلاغة التي تختص بالمعاني،

**(البديع)**: إتيان الشاعر بالمعنى الجديد المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله فقد خصه ابن رشيق على(اللفظ). وبذلك يجعل من (البديع) وعاء يحمل فيه سائرالوجوه البديعية المختصة بالجانب اللفظي؛ لذلك عده فن يصار به الى التلاعب في الألفاظ.

* فضّل (القدامى) إلى السبق في القول، وأساس الإختراع يعود اليهم، وهو بهذا المنحى يكون مؤيدا العسكري في قوله (3) .
* إنصاف جهود المحدثين في قوله: " وما زالت الشعراء تخترع الى عصرنا هذا وتولد"(4)، إذ لم يخص الإختراع والتوليد على السابقين من ذوي القروح والملكات من جانب، ومن جانب آخر ولم يقصرها على زمان محدد وإن صرح بقلته في عصره(5).

وأما ما اختلف عنه بما أضاف من فنون تنسب اليه دون سواه أو ما زاد أو أنقص على الفنون السابقة ؛ فهي :

1. باب الإشارة: أتفق ابن رشيق مع العسكري في عد الإشارة :" وهو في كل نوع من الكلام لمحـة دالـة، واختــصـار، وتلــويـح يعـــرف مجــمـلا ومعـنـاه بعيـد عــن ظاهــر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر : العمدة : 1/ 262- 265.

(2) ينظر : م . ن : 1/ 263.

(3) كتاب الصناعتين : 239.

(4) العمدة : 1/ 263.

(5) ينظر : م . ن : 1/ 263.

لفظه"(1)، إلا أنه أدرج تحت طياته أنواع منها: التعريض و التلويح، والكناية، والتمثيل، والرمز، واللمحة، واللغز، واللحن، والتورية، والتتبع(2).

2-باب التجنيس : لم يختلف مع العسكري في عده فنا من فنون البديع، إلا أنه فرع منها ضروبا: (المماثلة) والتي خص لها العسكري بابا مستقلا في صناعتيه(3)، و(الترديد)وعده ابن رشيق بابا من أبواب بديعه سبق أن أفرد له العسكري ﺑاب سماه (المجاورة )(4)، و(المضارعة) وهذا النوع أشار اليه ابو هلال بقوله: " ومن التجنيس نوع آخر يخالف ما تقدم بزيادة حرف أو نقصانه"(5)، إلا أنه لم يسمه بإسمه المعروف عند ابن رشيق .

3-باب التصديروسماه العسكري (رد الأعجازعلى الصدور)،وفرع عنه نوع اسماه(المضادة)،إلا أنه اكتفى بالتمثيل له دون التعريف به، وجعله قريبا من (الترديد ) موضحا الفرق بينهما بقوله: " والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي ترد على الصدور ...، والترديد يقع في أضعاف البيت "(6).

4- باب التقسيم : اتفق ابن رشيق مع العسكري بعده فنا من فنون البديع إذ أفرد له بابا، ناقلا ما اختلف الناس فيه، يقول: " فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعرجميع اقسام ما ابتدأ به"(7)، إلا أنه فرع التقسيم إلى أنواع : (التقطيع) و(الترصيع)والعسكري أفرد له بابا خاصا مستقلا عن التقسيم ليكون التقسيم فنا، والترصيع فنا آخر يضيف جمالا على الكلام، فهو:" أن يكون حشو البيت مسجوعا، وأصله من قولهم : رصعت العقد، إذ فصلته"(8).

5-باب التسهيم، والعسكري يسميه (التوشيح) وعد هذه التسمية غير لازمة للمعنى، واقـترح تسميـة تكـون أقـرب لهـذا المعـنى وهــي" التبييـن"(9)، وبهـذا يسهـم العسـكري في إيجاد تسميـة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) العمدة : 1/ 302.

(2) ينظر : م . ن : 1/ 303 ، 304 ، 305 ، 306 ، 307 ، 311، 313.

(3) ينظر : كتاب الصناعتين : 320 .

(4) ينظر : م . ن : 389.

(5) كتاب الصناعتين : 298.

(6) العمدة : 2/ 3.

(7) م . ن : 2/ 20.

(8) كتاب الصناعتين : 341.

(9) م . ن : 348.

تناسب المعنى تختلف عما سماه قدامة من (توشيح)..وما سماه علي بن هارون المنجم من (تسهيم)،وما ذكره ابن وكيع من اسم (المطمع)(1) .

6- باب التفريع : وعده ابن رشيق نوعا من الإستطراد، وهو " أن يقصد الشاعروصفا ما ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف تأكيدا "(2)، وهذا الباب لم يرد عند العسكري إلا أنه أشار الى نوع آخرمن الإستطراد لم يسمه(3)، والنوع الآخرالذي فرعه ابن رشيق عن الإستطراد (الإدماج)، وعمل به خلاف العسكري إذ إكتفى بذكراسمه من غير أن يعرف به، ممثلا له بشواهد تعزز له (4) .

7- باب الحشو وفضول الكلام: وهذا الباب اختلف فيه ابن رشيق مع العسكري؛ فلم يعده من الفنون البديعية وإنما عده صورة من صور الإطناب، إلا إن ابن رشيق لا يخرج في مفهومه العام (للحشو) عما ذكره العسكري(5)، وجعله على ثلالة أضرب إثنان مذمومان وواحد محمود(6)، كما ذكرنا في الفصل الأول. أما ابن رشيق فيحده، بقوله " أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن "(7)، ويتفق مع العسكري بأن ليس كل الحشو يجئ لغير فائدة وإنما " قد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه ... كالتتميم ، والإلتفات ، والإستثناء"(8).

8-باب الإستدعاء : زادها ابن رشيق، وحدها بقوله: " وهو ألا يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط ، فتخلو حينئذ من المعنى "(9) .

9-باب التكرار: يختلف فيه عن العسكري الذي أخرجه من البديع، وجعله فرعا من فروع الإطناب، يؤتـى بــه لتوكيــد الكـلام(10)، ونلاحـظ فــي تعليـقات العسكري عـلى الآيــات القرآنـية

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر العمدة : 2/ 31.

(2) م . ن : 2/ 42.

(3) ينظر : كتاب الصناعتين : 366.

(4)ينظر : العمدة : 41- 42.

(5) ينظر : كتاب الصناعتين : 46.

(6) ينظر : م . ن : 46.

(7) العمدة : 2/ 69.

(8) م . ن : 2/ 69.

(9) م . ن : 2/ 73.

(10) كتاب الصناعتين : 173 ، 174، 175.

والابيات الشعرية ان التكرار يقع في التناسب في اللفظ والمعنى. ويحده ابن رشيق بقوله: "والتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل"(1)، لما يحويه من قيمة جمالية (موسيقية )، وقيمة دلالية (تعبيرية)، ويحدد المواضع التي يوجبها للصانع أن يورد فيها (التكرار) وهي: " إذا كان في تغزل أو نسيب...، أو على سبيل التنويه به والإشارة اليه بذكر ...، أو على سبيل التقرير والتوبيخ...، أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه، أو على جهة الوعيد والتهديد...، أو على سبيل الإستغاثة ...، وعلى سبيل الإزدراء والتهكم والتنقيض"(2) .

10- باب نفي الشيء بإيجابه: وهي من الفنون التي زادها ابن رشيق في عمدته على الذين سبقوه، والتي تحتسب له؛ يحدها بقوله : " وهذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصا، إلا أنه من محاسن الكلام، فإذا تأملته وجدت باطنه نفيا، وظاهره إيجابا"(3) .

11 – باب الإطراد : ويختلف عن باب الإستطراد المتفق عليها – عند العسكري وابن رشيق – وهي من الفنون التي أضافها ابن رشيق ونوه اليه بقوله: " ومن حسن الصنعة أن تطرد الأسماء من غير كلفة، ولا حشو فارغ ؛ فإنها إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر "(4) .

12- باب التضمين والإجارة: وهذا الباب أقرب إلى حقل (السرقة)؛ لأن ابن رشيق يصرح فيه: " بأن هذا الباب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقوب في العلم ولا حذق بالصناعة، كجماعة ممن وسم في بلدنا بالمعرفة، وينسب اليها مكذوبا عليه فيها، كاذبا فيما إدعاه منها، ولتعرفنهم في لحن القول "(5)، وعدها واحدة من الفنون البديعية التي زادها على العسكري في عمدته، إذ يحد التضمين بقوله: "هو قصدك الى البيت من الشعرأو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل "(6)، ويحد الإجارة : " بناء الشاعر بيتا قسيما يزيد على ما قبله، وربما أجاز بيتا أو قسيما بأبيات كثيرة "(7)، وفرع عن هذا الباب نوعا سماه (التمليط) وقــد حـده

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) العمدة : 2/73.

(2)م . ن : 2/ 76.

(3) م . ن : 2/ 76.

(4) م . ن : 2/ 83.

(5) م . ن : 2/ 84 .

(6) م . ن : 2/ 84.

(7) م . ن : 2/ 89.

بقوله:"هو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه"(1).

13- باب الإتساع: وهو من افنون التي أضافها ابن رشيق، ويحدها بقوله: "وذلك ان يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التاويل؛ فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لإحتمال اللفظ، وقوته، واتساع المعنى "(2) .

14- باب الإشتراك: وهو من الفنون التي إنفرد في ذكرها عن العسكري ومنها ما يكون في اللفظ، ومنها ما يكون في المعنى، فما يكون في اللفظ ثلاثة اشياء: الأول (التجنيس) وهو محمود، والثاني: ان يكون اللفظ فيه يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذي بصدده، والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد وهو مذموم قبيح، والثالث: ويكون في سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها؛ إذ لا يسمي تناولها سرقة؛ لأنها متداولة يشترك الجميع فيها(3)، وهذا الفن كان من الأجدر بابن رشيق إدراجه ضمن حقل يتكلم فيه عن موضوع السرقات؛ كونه ضرب من ضروب السرقات الشعرية (المستحسنة) لا كفن من فنون البديع .

15- باب التغاير: وهي من الفنون البديعية التي أضافها ابن رشيق في عمدته، وقد حده بقوله: "هو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما، ثم يصحا جميعا، وذلك من افتنان الشعرا، وتصرفهم، وغوص أفكارهم "(4) .

وهذه الأنواع التي لم يرد ذكرها عند العسكري لم يصرح ابن رشيق في خطابه بأنه هو نفسه قد زادها على ما أوردوه المتقدمون كما صرح العسكري بقوله : " وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع "(5) .

ما نلحظه من دراسة ابن رشيق لهذه الفنون أنه سار على منهج العسكري، إذ تحدث عنها في أبواب مستقلة، عارضا بحد كل فن بديعي، وموشحه بأمثلة، وشواهد من النظم والنثر .

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) العمدة : 2/ 91.

(2) م . ن : 2/ 93.

(3) ينظر : م . ن : 2/ 97.

(4) م . ن : 2/ 100.

(5) كتاب الصناعتين : 239.